

جمالية الجملة الاستئنافية في النص الديني النبوي
- قراءة في تجلياتها وأثرها الفني في أحاديث النبي - ﷺ -

The aesthetics of the introductory sentence in the prophetic religious text - a reading of its manifestations and artistic impact in the hadiths of the Prophet - May God bless him and grant him peace

رمضان غالم¹، محمد بشيرباي²

¹ جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية، مخبر مناهج البحث والتقويم في العلوم الإسلامية ومقاصدها ومسالك تقويمها (الجزائر)

r.ghalem@univ-alger.dz

² المدرسة العليا للأستاذة طالب عبد الرحمن "الأغواط" (الجزائر)

b.mohamed@ens-lagh.dz

تاريخ النشر: 2025/12/31

تاريخ القبول: 2025/09/16

تاريخ الارسال: 2025/04/10

ملخص:

لا ريب أنَّ الجملة الاستئنافية من الجمل التي تكثر في النص النبوي الشريف، فالجملة الاستئنافية مهيبٌ مألوف عند العرب وباب مسلوک عندهم. ولا يخفى علينا أنَّ الأحاديث النبوية الشريفة حافلة بهذا النوع النحوي، وقد بلغت الجملة الاستئنافية منزلة رفيعة لأنَّها ارتبطت بأفصح رجلٍ على مرِّ التاريخ الإنساني.

من خلال هذا المقال سأوضح تجليات الجملة الاستئنافية وأثرها الفني في سياق النص النبوي الشريف، مسقطاً هذا الكلام على مقاطع من النص الحديثي موضحاً ومبيناً ما فيها من جماليات فنية وأسرار بلاغية تميز بها كلام نبينا - ﷺ -، كما سأبين مدى قوَّة البلاغة النبوية في مقام الجملة الاستئنافية من خلال تلك النماذج الحديثية التي أسوقها.

الكلمات المفتاحية: الجمالية؛ الجملة الاستئنافية؛ النص النبوي؛ الأثر الفني؛ البلاغة.

Abstract:

There is no doubt that the introductory sentence is one of the sentences that are frequent in the noble prophetic text, as the introductory sentence is a familiar path for the Arabs and a door that is traveled by them. It is not hidden from us that the noble prophetic hadiths are full of this grammatical type, and the introductory sentence has reached a high status because it is associated with the most eloquent man throughout human history.

Through this article, I will explain the manifestations of the introductory sentence and its artistic effect in the context of the noble prophetic text, applying this speech to sections of the hadith text, explaining and clarifying what is in it of artistic aesthetics and rhetorical secrets that distinguish the speech of our Prophet - may God bless him and grant him peace -, and I will also show the extent of the strength of prophetic eloquence in the position of the introductory sentence through those hadith models that I present.

Keywords: Aesthetics; introductory sentence; prophetic text; artistic effect; rhetoric.

1. مقدمة:

تُعَدُّ اللغة العربية من أعرق اللُّغات وأشرفها، وهي لسان مقدّس بقداسة كتاب الله الكريم، وممّالا ريب فيه أنّ لغة نبيّنا - ﷺ - أشرف لغة بعد النّص القرآني، وهذا ما يدعونا إلى الغوص في أعماقها والخوض في غمارها باعتبارها اللغة التي أرسل بها نبيّنا الكريم، كما تضمُّ في ثناياها الكثير من المسائل، ولذلك يعتبر النّص النبوي الشّريف التّمّوزج الأمثل لدراسة هذه اللغة الذي شرفها الله تعالى على لسان نبيّنا الكريم، وسأسلّط الضّوء على حديثه - ﷺ - ، إذ أنّ بلاغته وفصاحته أعجزت أساطين البلاغة والفصاحة، فقد تحدّى رسولنا الكريم ببلاغته كلّ معارضٍ، فلم يستطيعوا ولن يستطيعوا الإتيان بمثل كلامه - ﷺ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - (أُوْتِيْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ...) ¹، ويقول الجاحظ (255هـ) يصف كلام

¹ الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، شعيب أرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421 هـ - 2001 م، ج 15، 440، برقم: 9705.

رسولنا الكريم: (وهو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزَّه عن التكلف ...) ². ولا مِرية أنَّ أضرب البلاغة وأشكالها تنوّعت في النصّ النبوي الشريف تنوعاً بيّناً، والجملة الاستئنافية من أبرز الظواهر النبوية التي إعتنى بها الدارسون لفصاحة وبلاغة النبي -ﷺ- لما فيها من الأسرار التركيبية والجمالية الفنية، والدلالة المعنوية.

مشكلة البحث:

- ما الجملة الاستئنافية؟ وما جمالياتها وأثرها الفني في النصّ النبوي الشريف؟ وما سرُّها البلاغي في سياقات النصّ الحديثي؟

فرضيات البحث: لقد اعتمدت لحلّ هذه الإشكالية على فرضيات تمثّلت في:

- يتّصف النصّ النبوي الشريف بالجمال الاستئنافية.
- الجملة الاستئنافية مظهر من مظاهر جماليات نظم الرسول -ﷺ- وبلاغته.

أهداف البحث:

- بيان أقوال العلماء في توضيحهم لتعريف الجملة الاستئنافية وبيان أنواعه.
- إظهار جمالية الجملة الاستئنافية وأثرها الفني في النصّ النبوي الشريف.
- بيان بلاغة الجملة الاستئنافية وسرُّها في النصّ النبوي الشريف.

منهج البحث: يعالج هذا البحث مادته بواسطة المنهج الوصفي والتحليلي لبعض أحاديث المصطفى الكريم.

الدّراسات السابقة: تناولت النصّ النبوي الشريف: مثل: مقال موسوم بـ " الجملة الاستئنافية في صحيح البخاري: دراسة وتحليل لـ الحاصود، عير طارق ظاهر".

الفرق بين هذه الدّراسات وما تمّ تناوله في هذا المقال: هو تحديد الجمالية الفنية في الجملة الاستئنافية في النصّ النبوي الشريف، وكيف فاقت الجملة الاستئنافية في النصّ النبوي الشريف الكلام العربي من الناحية الفنية، وكذلك تحديد أغراض الجملة الاستئنافية وأثرها الفني في النظم الحديثي.

² أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مطبعة المدني، ط7، 1998م، 17/2.

خطة البحث:

أولاً: تحديد المفاهيم

1.1: تعريف الجمال؛

1.2: تعريف الجملة الاستئنافية؛

3.1: تعريف الحديث النبوي الشريف؛

2- ثانياً: الحديث النبوي الشريف؛

2.1: تقسيم الحديث من حيث القبول؛

2.2: تقسيم الحديث من حيث الرد؛

ثالثاً: 3: الجمالية اللغوية والفنية في الحديث النبوي الشريف؛

3-1: الجمالية اللغوية في النص النبوي الشريف؛

3.2: الجمالية الفنية في النص النبوي الشريف؛

رابعاً: 4: النص النبوي الشريف من الأساس الديني إلى تمثيلات الجمالية الفنية.

خامساً: الخاتمة.

2. العنوان الرئيسي الأول:

2 أولاً: تحديد المفاهيم:

1. تعريف الجمالية:

1.1. الجمالية لغة : الجمالية مصدر صناعي مشتق من الجمال، والجمال في اللغة جاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي: " والجمال الحسن في الخلق والخلق، جُمْل، ككُرْم فهو جميل..."³.

1.2. اصطلاحاً: توحى لفظة "جمال" بالشَّيء الشعوري الذي يتَّصف بالخيال ويعطي في النفس راحةً تامةً. وهذا ما أشار إليه عزالدين إسماعيل في كتابه: " الأسس الجمالية في النقد العربي" بقوله: (فالواقع أنَّ أحدًا لا ينكر أنَّ الإغريق قد عُنوا بالجمال عناية فائقة وكان الجمال بجانب الخير والحقَّ أهم ما يشغل فلاسفتهم ومفكرهم ومحاورات أفلاطون مادة وفيرة في محاولة إدراك الجمال وفهم طبيعته."⁴

2.2: تعريف الجملة الاستثنائية والحديث النبوي الشريف وأقسامه:

عند البحث عن تعريف الجملة يجد القارئ نفسه داخل مجموعة من المفاهيم وتراكم من الآراء المتنوعة ومن هنا يعسر علينا تحديد مفهوم جامع للجملة، ولعلَّه هذا التضارب والبؤن في الآراء سنسعى على إثارة بعض التعريفات ونحرص على المفهوم القرآني: (أ): الجملة في القواميس اللغوية: قال ابن منظور (711هـ): (والجُمْلَة: واجدةُ الجُمَل. والجملة: جماعي الشيء. وأَجْمَلَ الشَّيْءَ: جَمَعَهُ عَنْ تَفْرِيقِهِ، وَأَجْمَلَ لَهُ الْحِسَابَ كَذَلِكَ. والجملة: جَمَاعَةٌ كُلُّ شَيْءٍ...)⁵.

(ب): الجملة في المفهوم القرآني: قد ذكر لفظ (جملة) مرَّة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: (لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً). الفرقان- 32

³ محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، (د.ط.)، (2005م)، ص 979.

⁴ عزالدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي-عرض وتفسير ومقارنة -، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1992م، ص 14.

⁵ ابن منظور المصري، لسان العرب، تج: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف القاهرة- مصر ، ط1، (د-ت)، ج1، ص686. مادة: (ج، م، ل).

1. 2. اصطلاحاً: تعددت مفاهيم الجملة في التراث اللغوي وذلك للمزج بين مصطلحي (الكلام والجملة) عند أرباب النحو القدماء والمحدثين، وسنذكر مفهوم الجملة عند ابن جني (392هـ) باعتباره أنه أعطى حداً جامعاً مانعاً لمفهومها:

يقول ابن جني (392هـ): (أمّا الكلام فكلُّ لفظٍ مستقلٍّ بنفسه، مفيد لمعناه. وهو الذي يسمّيه النحويّين الجُمْل،... فكلُّ لفظٍ استقلَّ بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام).⁶

1. 3. 2. تعريف الحديث النبوي الشريف:

أ: المفهوم اللغوي:

الحديث لغة: هو السَّيْءُ الجَدِيد: يقول الزبيدي (ت1205هـ): "حدث " السَّيْء يحدث "حُدوثاً" بالضم "وحداثة" بالفتح: "نقيض قدم" والحديث: نقيض القديم والحدوث: نقيض القدمة "..."⁷.

ب: المفهوم الاصطلاحي:

تعريف الحديث النبوي: اصطلاحاً:

قال الصنعاني (ت1182هـ): "هو كل ما صدر عنه -ﷺ- من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ".⁸ وفي الغالب أنّ السُّنَّة النبويّة أو الحديث النبويّ مترادفان.

فالسُّنَّة تصبّ في معنى الحديث. والسُّنَّة ما ورد عن النَّبِيِّ من أقوال أو أفعال أو تقارير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة ولا فرق بين أن تكون قبل البعثة أو بعدها ولربّما هي مرادفة للحديث عند الأكثر.⁹

بهذا إذا ذكر الحديث والسُّنَّة فهما بمعنى واحد لكن هناك من فرّق بينهما: (بعض المحدثين والأصوليين).

⁶ ابن جني، الخصائص، تح: علي محمد النجار، دار عالم الكتب، لبنان- بيروت، (د-ط)، (د-ت)، 1/18، 19.

⁷ مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت)، 5/205..

⁸ محمد بن إسماعيل الصنعاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، تح: صلاح عويضة، بيروت -لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ، 1997م، 1/11.

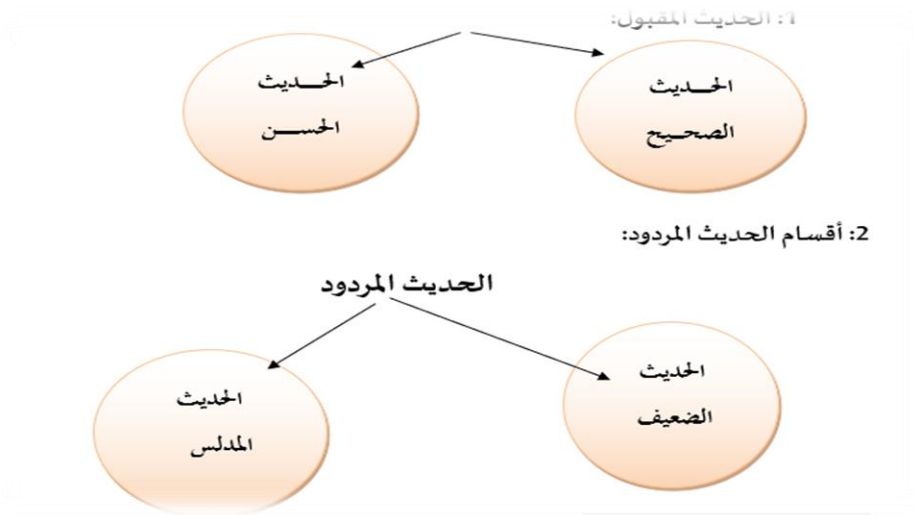
⁹ ينظر: الأعظمي محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، المكتب الإسلامي، بيروت -لبنان، (د.ط)، 1980م، 1/1.

فالسُّنَّة في اللُّغة: جاء في تاج العروس: "السُّنَّة: هي السَّيرة، والطَّرِيق القويم"¹⁰.

يقول الشيخ عبد الله بن يوسف الجديع: "السُّنَّة في المعنى الأصوليِّ مساويةٌ للحديث بالتعريف المتقدم عن أهل الحديث،..."¹¹.

* أقسام الحديث النبوي الشريف:

تقسيم الحديث من حيث القبول والرد:



3. الجماليَّة اللُّغويَّة والفنيَّة في الحديث النبوي الشريف:

3-1: الجماليَّة اللُّغويَّة في النص النبوي الشريف:

لا يخفى علينا أنَّ بلاغة الرِّسول -ﷺ- من أرقى البلاغات، فقد أُوتي جوامع الكلم، يقول الرَّافعي: "إنَّ البلاغة النَّبويَّة هي تلك البلاغة الإنسانيَّة التي سجدت لأفكار لأبائها وحسرت العقول دون غاياتها لم تصنع وهي من الأحكام كأنَّها مصنوعة، لم يتكلَّف لها وهي على السُّهولة بعيدة ممنوعة"¹².

¹⁰ مرتضى الزبيدي، تاج العروس، مصدر سابق، 230/35.

¹¹ الجديع عبد الله بن يوسف، تحرير علوم الحديث، مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، ط1، 2003م، 19/1.

¹² مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي - بيروت - (2005-1974م)، ص193.

فقد اتَّفَق البلغاء على أَنَّ الرِّسُول -ﷺ- أفصحُ العرب وأبلغُهم، فيُطَنَّب في مقام الإطناب؛ ويُوجز في مقام الإيجاز، والإيجاز الموجود في أحاديث الرِّسُول -ﷺ- هو بمثابة النَّسْق الذي تسير عليه هذه البلاغة باعتباره خاصِّيَّة من الخصائص الفنِّيَّة التي يتَّسم بها النَّص النَّبَوِي، له جماليَّات بارزةٌ وواضحةٌ نلمحها من خلال قراءتنا للأحاديث عامَّة، ولجوامع الكلم خاصَّة، وتكْمُن هذه الجماليَّة في حسن التَّعبير ورونق التَّركيب، وحلاوة التَّأليف، وشرف المعنى وصحَّته، كذلك الإحساس بجمال النُّطق النَّبَوِيَّ وحكمته.

2-2: الجماليَّة الفنِّيَّة في النَّص النَّبَوِيَّ الشَّريف:

تُعَدُّ الجملة الاستثنائيَّة أحد الأساليب النَّحْوِيَّة والبلاغيَّة التي نالت حظَّها بالدِّراسة واهتمام معظم البلاغيين والنَّحويِّين القدماء والمحدثين، إذ نجدهم قد ذكروه في كتبهم وبينوا مكانتها وأسرارها، حيث يقول عبد القاهر الجرجاني (ت474هـ)-رحمه الله-: (اعلم أنَّ العلمَ بِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُصْنَعَ فِي الْجُمْلِ مِنْ عَطْفٍ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، أَوْ تَرْكِ الْعَطْفِ فِيهَا وَالْمَجِيءُ بِهَا مَنْثُورَةً، تُسْتَأْنَفُ وَاحِدَةٌ مِنْهَا بَعْدَ أُخْرَى مِنْ أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ، وَمِمَّا لَا يَتَأَتَّى لِتَمَامِ الصَّوَابِ فِيهِ إِلَّا الْأَعْرَابُ الْخُلَّصُ ، ...)¹³.

إن الجملة الاستثنائيَّة من الأساليب البلاغيَّة التي تحتاج إلى فطنة وذكاء، لأنَّها تجعل من البنية التَّركيبية كلامًا معطوفًا على ما قبلها من جهة المعنى ومستأنفةً على سبيل اللَّفْظ، والعرب في قديم الزَّمان كانت أساليبهم تعتمد على الذَّوق والليَّة، فتجد التَّعبير ومنشؤهم الحوارية جار مجرى المتعارف بين الأوساط، فأصبحت الجملة الاستثنائيَّة مَبِيع التَّخاطب العربي بينهم؛ فالجملة الاستثنائيَّة بوصفها أسلوبًا من أساليب حسن الكلام وجودته في باب الفصل والوصل عند أرباب البلاغة، فقد رافق السَّليقة العربيَّة في المنظوم والمنثور، وذلك من أجل تحقيق تراكيب فنِّيَّة ذات طابع دلالي متَّزن، كما أشار لذلك الجرجاني¹⁴.

يقول حسن عباس: "فضل النَّبِيِّ -ﷺ- على غيره حتَّى من الأنبياء عليهم السَّلام- بأمور منها أنَّه أُعطي جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصارًا، ..."¹⁵.

¹³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تج: المحمَّد محمود شاكر أبو فهر، دار المدني بجدة، (1413هـ ت1992م)، 1/222.

¹⁴ ينظر: المصدر نفسه، 1/222.

¹⁵ فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للطباعة والنشر، ط1، ص454، ص455.

ومما تقدّم يمكن القول أنّ الجملة الاستئنافية قد احتلّت منزلةً عاليةً في كلام العرب لما فيه من جماليّة في الأسلوب والتّعبير والفصل والوصل.

4. النصّ النبويّ الشّريف من الأساس الدّيني إلى تمثّلات الجماليّة الفنّيّة:

جماليّة الجملة الاستئنافية وأثرها الفنّي في النصّ النبوي الشّريف (حديث الهجرة، حديث جوامع الكلم، حديث الفتن):

النموذج الأول:

عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»¹⁶.

شرح الألفاظ : النِّيَّاتِ: جمع نِيَّة وهي العزم والقصد في القلب.¹⁷

يُصِيبُهَا: يَحْصِلُهَا.

شرح الحديث: إنّ هذا الحديث من الأحاديث الضّروريّة التي عليها مدار الدّين الإسلامي، فهو يبيّن مقاصد الأعمال وصحّتها، "أي: صحّة الأعمال ووجوب أحكامها إنّما يكون بالنّيّة، فالنّيّة هي التي تحدّد معالم الأعمال وتصرفها"¹⁸.

تحليل النصّ وبيان موطن الجملة الاستئنافية وبلاغتها :

هذا واحد من تلك الأحاديث النبويّة التي حوت وجوهاً من البلاغة في بيان أصل من أصول الأعمال الشرعيّة أو الدّنيويّة، فجاء بالألفاظ قليلة وكلماتٍ يسيرة، ولكنّها تحوي من المعاني والحكم والأحكام الشّيء الكثير، والاستئناف صورة من الصور التي تميّز بها التّعبير النبوي، وقد تجلّت في هذا الحديث، " فهذا الحديث أصل في الإخلاص وله مرجع إلى الكتاب

¹⁶ صحيح البخاري، كتاب الوحي، باب بدء الوحي، 6/1، برقم: 1

¹⁷ ينظر: أبو القاسم -جار الله- الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، تح: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة -

لبنان-(د-ط)، (د-ت)، 341/1.

¹⁸ حمد بن محمد الخطابي، معالم السنن وهو شرح سنن أبي داود، المطبعة العلمية -حلب-، (1351هـ-1932م)، 244/3.

والسُّنَّة. فقد صَوَّرَ لنا الرَّسُول - ﷺ - فيه أَنَّ الأعمالَ متعلِّقةٌ بالقلوب فنصَّ الحديث مداره عليها وهو قاعدتها¹⁹.

-«فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ»: هذا أسلوب الشرط فبيّن الرَّسُول فيه الجزاء بعينه، فالشَّرْط في الجملة الحديثية هنا اتّحدا لفظاً لا معنى، والاعتبار بالمعاني لا الألفاظ، فكان الاستئناف هنا بحذف المسند وهو إيجاز حذف فمن منظور الوجه البياني من الكلام هو: "«فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» قصداً ونيةً فهجرتُهُ إلى الله ورسوله ثواباً وأجرًا".²⁰ جملة استئنافية.

موطن الاستئناف وبلاغته في السِّياق النبوي الشريف:

إذا تأملنا في هذا الحديث الشريف «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ...» يتبيّن لنا أن الجملة الثانية استئنافية توضيحية تفصيلية، تحمل بعداً بلاغياً توكيدياً يرسخ المعنى.

أولاً: النَّمُودَج الثاني:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أَنَّ الرَّسُول - ﷺ - قَالَ: (بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ)²¹.

تحليل النَّصِّ وبيان موطن الجملة الاستئنافية وبلاغتها:

استهلَّ النَّبِيُّ - عليه الصَّلَاة والسَّلَام - في الحديث الشريف بالجملة الخبرية «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ...» ولعلَّ هذا الاستفتاح أبلغ في هذا المقام؛ لأنَّه - ﷺ - ينه على أمر نبوي وذلك تنبيهاً للمتلقّي، "فالتكرار في السِّياق النبوي له أغراضٌ وتداعيات فكان هنا مقصوداً متعمّداً وليس من عجزٍ في التّعبير فجاء ليحمل جزءاً من المعنى المراد"²²، وممّا يُلَاحَظ في النَّصِّ النبوي تناسق العبارات وتساويها على وتيرةٍ واحدةٍ وسبيل واحد لتؤثّر في المتلقّي فيلقي لها سمعته وانتباهه.

¹⁹ عبد القوي الطوفي الصرصري، التعيين في شرح الأربعين، تج: أحمد حاج محمد عثمان، مؤسسة الريان - المكتبة المكية، (د.ت)، ص 43.

²⁰ تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: 702هـ)، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، مؤسسة الريان، ط6، (1424 هـ - 2003 م)، ص26.

²¹ حديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب قول النبي ﷺ (نصرت بالرعب مسيرة شهر)، 54/4، رقم: 2977، ومسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة، 371/2، برقم: 523.

²² ينظر: أميمة بدر الدين، مقال بعنوان: التكرار في الحديث النبوي، -مجلة دمشق-، جامعة دمشق، 2010م، ع.1، مج.1، ص79.

موطن الجملة الاستئنافية وبلاغتها في السياق النبوي الشريف:

إنَّ الملاحظ في هذا الحديث الشريف أنَّ الخطاب النبويَّ كان ملائمًا للسياق جامعًا للمعاني والدلالات، فاستفتح الرسول حديثه بالجملة الاستئنافية «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ...» ممَّا جعل منه قوَّة في البلاغة وتماسكًا في أجزائه وتأثيرًا في السَّامع والمتلقِّي:

الجملة الاستئنافية: نعم وظَّف الرسول الجملة الاستئنافية في هذا النص الشريف؛ فهذه الجملة فعلية خبرية مثبتة استئنافية لا محلَّ لها من الإعراب وقد جاء فعلها مبنيًا للمجهول والبناء للمجهول ظاهرة لغوية في العربية ولها صورتها الخاصة بها وأسلوب تعبري يعمد إليه المتكلم إثارًا للاختصار والإيجاز وهو من دلائل البلاغة النبوية، وإنَّ بناء الفعل للمجهول يقتضي حذف الفاعل وإقامة نائبه معه.²³

النموذج الثالث:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفْرُبُ بَيْنَهُ مِنَ الْفَتَنِ»²⁴.

شرح الألفاظ:

شَعَفَ الْجِبَالِ: هذا هو المشهور بالشين المعجمة والفاء مفتوحتين وهي رؤوسها وأطرافها ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ: جمع موقع وهو موضع الوقوع، والقطر: المطر أي: المواقع التي ينزل المطر فيها ليرعاها.²⁵

شرح الحديث: هذا الحديث من دلائل نبوته -ﷺ- فقد أخبر عن واقعة من وقائع آخر الزَّمان، وفيه توجيه للمسلم الذي يخاف على دينه إذا أدرك ذاك الزَّمان فالخير يكمل في العزلة، يقول ابن رجب: "وفي الحديث إشارة إلى الحياة البادية آنذاك؛ فالغنم خير مال المسلم حينئذ، فالمعتزل يأكل من لحومها ويشرب ألبانها ويستمتع بأصوافها وغيره، وهذه المنافع لا توجد سوى في الغنم".²⁶

²³ ينظر: جاز الله الزمخشري، شرح المفصل، قدم له: بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت (1422/2001هـ) ص164.

²⁴ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتنة، 19/1، برقم: 19.

²⁵ ينظر: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض الحصبني السبتي المالكي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار 2/162.

²⁶ عبد الرحمان بن أحمد بن رجب، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تج: مجموعة من العلماء، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. ط1، (1417هـ-1996م)، 107/1.

تحليل النَّصِّ وبيان موطن الإيجاز وبلاغته :

بدأ الحديث بالفعل المضارع «يُوشِكُ» تعبيرًا عن قرب الخبر؛ وهو في هذا السِّياق يدلُّ على الانقطاع والوقوع الفعلي؛ لأنَّه خبرٌ نبويٌّ، فمضمون الخطاب في هذه الصُّورة التَّعبيريَّة هو الإخبار عمَّا سيكون، فالفعل في الاختيار النَّبوي في مقامه؛ فأدَّى معناه في دقَّة فائقة، وفيه دلالات عميقة عبَّرت عن أحداث كثيرة، وفوق هذا كلِّه نجد أنَّ الفعل «يُوشِكُ» فيه نوع من التَّصوير الدَّال على الحركة، ثمَّ إنَّه -ﷺ- خصَّ ذلك الزَّمان بأنَّ خيرِيَّة المسلم تكمل في الغنم؛ وذلك ممَّا أوحى إليه ربُّه -جلَّ وعلا-، ثمَّ برَّر الغاية من ذلك كلِّه؛ وهو الفرار من الفتن، فعبَّر بالأسلوب الخبري الابتدائي الغرض منه التَّحذير، ولعلَّ كثرة الأفعال في هذه العبارات دلالة واضحة على الحركة والاضطراب الذي يحصل في آخر الزَّمان، فجاء الحديث موجزًا، لكن عبَّر عن معاني كثيرة وهذا من الأساليب النَّبويَّة البليغة.

موطن الجملة الاستئنافية وبلاغتها في السِّياق النَّبوي الشريف:

من مزايا الأسلوب النَّبوي في الأحاديث السِّياق الذي هو محور المعاني، فالألفاظ والتَّركيبات تعكس نمط السِّياق، وهذا الحديث الذي بين أيدينا فيه استئناف متناسق مع سياق النَّصِّ وأغراضه.

قد جاءت الجملة الاستئنافية في هذا الحديث الشريف متصدرة بالفعل المضارع "يُوشِكُ" الذي جاء خبره متَّصلاً بأن المصدرية، وهو الأغلب في استعمالاته²⁷ أمَّا اسمه فقد استتر في هذه الجملة الحديثية.

فانطلق هذا الحديث من التَّوقع الحقيقي إلى البحث عن طرق النَّفاذ من هذا الأمر؛ وعلاوةً على ذلك الوصول إلى المقصد العام له، كما أنَّه اشتمل على جملة من الكلمات التي يمكن أن تنظر إلى كلِّ واحدة منها على أنَّها حقلٌ دلاليٌّ مستقلٌّ بنفسه، فالأفعال المضارعة في سياق الحديث لها أبعادٌ دلاليَّةٌ؛ فكان الحديث من الأحاديث ذات البنية البلاغية العميقة، وهذه الصورة البلاغية تضفي على الجملة بُعدًا تأمليًّا نفسيًّا يحرك وجدان السَّامع.

²⁷ ينظر: سيبويه، الكتاب، تعليق إميل يعقوب بديع، دار الكتب العلمية، (د-ت)، 332/1.

4. 2: جمالية الجملة الاستئنافية وأثرها الفني في النص النبوي الشريف (حديث فَمَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ، حديث "ليلة القدر"، حديث "عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يُصَلِّ بالليل".

النموذج الرابع:

الجملة الاستئنافية موجودة في الحديث النبوي الشريف، ولا شك أنها بمثابة النسق الذي تسير عليه البلاغة باعتبارها خاصية من خصائصه الفنية، وفي هذا النموذج سنكتشف مدى بلاغتها وأثرها الفني في السياق الحديثي.

قَالَ -ﷺ-: «فَلِمَ تَبْكِي؟ أَوْ لَا تَبْكِي، فَمَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنَحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ»²⁸

شرح الحديث: في هذا الحديث تبشير ومواساة للمرأة في مصابها: (تبكين) أو (لا تبكين)، وحسبها عزاء أنه مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعه الناس، يعني استمرت تظله تكريماً له "وإظلاله بأجنحتها لاجتماعهم عليه وتزاحمهم على المبادرة بصعود روحه"،²⁹ حتى رفعتموه عن النعش إلى قبره.

تحليل النص وبيان موطن الجملة الاستئنافية وبلاغتها:

هذا الحديث من ضمن الأحاديث التي جمعت بين أسلوبَي الإنشاء والخبر، فشكّل بلاغةً في التعبير وحسنًا في الأداء وسبكًا في التركيب، إلّا أنّ الجملة الاستئنافية غلبت على الأسلوب الخبري:

اعتمد الرسول الكريم في هذا الحديث على الإجابة باستئناف الكلام مستعملًا في ذلك (حرف الاستئناف -الفاء-)، فالجملة الاستئنافية التي مرّت في هذا الموضع لا محلّ لها من الإعراب وقد تصدرت بحرف الاستئناف الفاء وقد سبقت بجملة تامّة المعنى والدلالة، وهذا هو شرط الجملة الاستئنافية كما عرفنا من قبل، وأفعال هذه الجملة مبنية للمجهول (تُظِلُّهُ، رُفِعَ)، وقد جاء النائب عن الفاعل فيها ضمير مستتر "هو" وقد أخذ نائب الفاعل مكان الفعل وإعرابه.

²⁸ صحيح البخاري، باب ما يكره من النياحة على الميت، 72/2، برقم: 1293.

²⁹ بدر الدين العيني، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، 18/8.

فتلاحظ أنَّ مستويات الإخبار في الحديث النبوي مختلفة حسب الموطن والمقام، فالجملة الاستئنافية: "فَمَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا" جاءت لتعزية السامع والتخفيف عنه، بأسلوب خبري استئنافي يفيد الراحة والسكينة، مع صور بلاغية تُعزِّز المعنى الروحي والوجداني.

من خلال ما سبق نجد أنَّ الجملة الاستئنافية متى وقعت على النظم النبوي فإنَّها في محلِّها، والأغراض تختلف باعتبار السياقات، ففي هذه النماذج نجد أن صورة الجملة الاستئنافية جاءت وافيةً للمعنى في شكلها الدلالي، ومؤيدةً للنسق النبوي من حيث التناغم والإيقاع الصوتي وهي ذات طابع جماليٍّ في شكلها السياقي.

النموذج الخامس:

عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلَاخَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: «إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلَاخَى فَلَانٌ وَفُلَانٌ،...»³⁰.

شرح الحديث: في هذا الحديث يذمُّ الرسول الكريم عن الملاحاة والخصومة ويبين أنَّها سبب العقوبة يقول العيني "فتَلَاخَى" بفتح الحاء من التَّلَاخي بكسر الحاء وهو التنازع"³¹.

تحليل النص وبيان موطن الجملة الاستئنافية وبلاغتها:

يظهر فيما سبق جملة استئنافية (وَإِنَّهُ تَلَاخَى فَلَانٌ وَفُلَانٌ) لا محلَّ لها من الإعراب، وقد حوت هذه الجملة الفعل (تَلَاخَى) وقد تصدر الفعل (تَلَاخَى) وهو فعل لازم ولكن صيغته الصَّرفية (تَفَاعَلَ)³²، تفاعل تدل على المشاركة وهكذا ورد في النص النبوي الشريف.

فشكَّلت الجملة الاستئنافية في هذا النص النبوي الشريف نصًّا متماسكًا، فالحديث حامل للمعاني وحقيقة أبعد من حقيقته الملموسة من خلال الوصف الموجود في تلك العبارة، فقد شكَّلت الألفاظ بنية حيَّة مؤثرة لما تحمله من معاني كثيرة كالخصومة الحادة والتشاحن، الأمر الذي أضفى على الجملة بعدًا دلاليًّا وبلاغيًّا، يعكس أثر الخصومة في تعطيل الخير الجمعي، ويُبرز البنية التأثيرية للكلمة في بناء المعنى وتوجيه المتلقي، فتركت

³⁰ صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر، 19/1 برقم 49.

³¹ بدر الدين العيني، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، 220/1.

³² ينظر: شرح الرضي على الشافعية، رضي الدين الإستراباذي، (د-ط)، (د-ت)، 99/1.

هذه المفردات أثراً عميقاً في النفوس وجلّت المعنى كاملاً. جاء في كتاب الخصائص الفنيّة لـ "محمد الدبل" يقول: "ولذا كان بيانه خال من الرّخارف والصّناعة اللفظيّة التي يتعمّدها البلغاء بأنواع من البديع كالسّجع والطّباق..."³³

ويقول الرّافعي: "كان أفصح العرب، على أنّه لا يتكلّف القول، ولا يقصد إلى تزيينه، ولا يبغي إليه وسيلةً من وسائل الصّنعَة..."³⁴.

النّمودج السّادس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رسول الله -ﷺ- قال: «... فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانٌ»³⁵.

شرح الحديث: في هذا الحديث يخبر النبي -ﷺ- بحال الإنسان الذي يريد القيام للصّلاة إن قام فصلّى بعد الوضوء انفكّت العقدة الثالثة وأصبح نشيطاً يقول العيني: "(أَصْبَحَ نَشِيطًا) أي: لسروره بما وفقه الله تعالى من الطّاعة وطيب النَّفس لما بارك الله له في نفسه وتصرّفه في كلّ أموره، وبما زال عنه من عُقدِ الشيطان."³⁶

تحليل النصّ وبيان موطن الجملة الاستئنافية وبلاغتها:

هذا الحديث ينطوي على ضرب من التّوجّهات في أعظم ركن إسلامي (الصّلاة) فأثبت الأسلوب النبوي في هذا المقام للمصلّي أنّ الصّلاة لها أثر بالغ؛ وجاء بيانه في الجملة الاستئنافية مقترناً بالتّوكيد على صيغة المبالغة. «فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ»، هذه الجملة الفعلية لا محلّ لها من الإعراب وسبقت بكلام تام المعنى، وصدرت بحرف الاستئناف "الفاء"، ثمّ انظر لروعة البيان حينما وضّح له صورة الصّلاة أنّها تؤثّر في قائم الصّلاة، لهذا قال: «فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ».

³³ محمد الدبل، الخصائص الفنية في الأدب النبوي، جامعة الرياض الامام محمد بن سعود- السعودية-(د-ط)، (د-ت)، ص144.

³⁴ مصطفى الصادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصدر سابق، ص194

³⁵ صحيح البخاري، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل، 52/2، برقم: 1124.

³⁶ بدر الدين العيني، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، 194/7.

موطن الجملة الاستئنافية وبلاغتها في السياق النبوي:

استخدم النبي ﷺ - أساليب متنوّعة في توجيهاته، وذلك باعتبار المقام ومقتضياته، فهذا الحديث كان توجيهاً للمصليّ بأسلوبٍ بسيطٍ جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة. فاستأنف الرسول ﷺ - في هذا السياق بالجملة الفعلية، فالمقام مقام توجيه، فلو استأنف بغير الجملة الشرطية لاختلّ السياق وما كان التعبير في روعة النظم وحسن البيان، ثمّ انظر أسلوب المقابلة البلاغية الذي يُبرز الفرق بين حالي المصليّ والمتكاسل من خلال تناقض دلالي بين "طيب" و "خبث". بحيث كان للاستئناف دوراً توكيدياً وتفسيرياً يُعمّق أثر الجملة الشرطية السابقة، ويرى للمقابلة مع حال تارك الصلاة.

الخاتمة:

- بعد هذا العرض المجمل والمختصر لجمالية الجملة الاستئنافية وأثرها الفنيّ وأغراضها في سياقات النصّ الحديثي، وعلى ضوء ما سبق يمكن أن نستنتج النقاط الآتية:
- إنّ البلاغة النبوية من أرقى البلاغات فهي أعلى البيان البشريّ على الإطلاق. كيف لا وهي خير ما نطق به رسولنا الكريم ﷺ -.
 - تنوّعت ظاهرة الجملة الاستئنافية في لسان العرب فاكتست الكلام المنظوم والمنثور، بيد أنّ الحديث الشريف كثرت فيه وذلك يدل دلالة واضحة على قوّة البيان النبوي الشريف.
 - إنّ الجملة الاستئنافية بأقسامها وأنواعها في النصوص الدينيّة والأدبيّة لها جماليّات وأثرٌ فنيّ إذا تلاءمت مع السياق والموطن.
 - في ضوء هذه النظرة حاولت التأكّد من قوّة البلاغة النبوية من خلال دراسة الجملة الاستئنافية في النصّ النبوي الشريف؛ فقامت بتطبيق نماذج على الأحاديث النبوية الشريفة من المدوّنة الحديثيّة فتبيّن أنّ الحديث غنيٌّ بهذا النوع البلاغي؛ فتنوّعت طرق أدائه باعتبار السياق والموطن.
 - كشف البحث عن طبيعة استعمال الجملة الاستئنافية في الحديث النبوي الشريف، فتنوّعت أساليبها بشكل قصدي من أجل تكريس أغراض لغويّة قصدها المتكلم.

فهرس المصادر والمراجع:

1. الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، شعيب أرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421 هـ - 2001 م.
2. أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مطبعة المدني، ط 7.
3. -3- محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، (د.ط.)، (2005م).
4. عزالدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي - عرض وتفسير ومقارنة -، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 2، 1992م.
5. ابن منظور المصري، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف القاهرة- مصر ، ط 1، (د-ت).
6. ابن جني، الخصائص، تح: علي محمد النجار، دار عالم الكتب، لبنان- بيروت، (د-ط.)، (د-ت).
7. مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت).
8. محمد بن إسماعيل الصنعاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، تح: صلاح عويضة، بيروت -لبنان ، دار الكتب العلمية، ط 1، 1418 هـ، 1997م.
9. الأعظمي محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، المكتب الإسلامي، بيروت -لبنان-، د.ط، 1980م.
10. الجديع عبد الله بن يوسف، تحرير علوم الحديث، مؤسسة الريان للطباعة والنشر- بيروت - لبنان، ط 1، 2003م.
11. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي -بيروت - (1974-2005م).
12. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد محمود شاكر أبو فهر، دار المدني بجدة، (1413هـ-1992م).
13. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للطباعة والنشر، ط 1.
14. أبو القاسم -جار الله- الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، تح: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة -لبنان- (د-ت).
15. حمد بن محمد الخطابي، معالم السنن وهو شرح سنن أبي داود، المطبعة العلمية -حلب-، (1351هـ-1932م).
16. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1، (1422هـ).
17. عبد القوي الطوفي الصرصري، التعيين في شرح الأربعين، تح: أحمد حاج محمد عثمان، مؤسسة الريان -المكتبة المكية، (د.ت).
18. تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: 702هـ)، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، مؤسسة الريان، ط 6، (1424 هـ - 2003 م).
19. أميمة بدر الدين، مقال بعنوان: التكرار في الحديث النبوي-، مجلة دمشق: -جامعة دمشق، سنة: 2010م، العدد الأول: المجلد 26، ص 79.

20. جار الله الزمخشري، شرح المفصل، قدم له: بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت (1422/2001هـ).
21. القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، (د-ط) (د-ت).
22. عبد الرحمان بن أحمد بن رجب، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تج: مجموعة من العلماء، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. ط1، (1417هـ-1996م).
23. سيبويه، الكتاب، تعليق إميل يعقوب بديع، دار الكتب العلمية، (د-ت).
24. رضي الدين الإستراباذي، شرح الرضي على الشافعية، (د-ط)، (د-ت)، (د-ط)، (د-ت).
25. محمد الدبل، الخصائص الفنية في الأدب النبوي، جامعة الرياض الامام محمد بن سعود- السعودية- (د-ط)، (د-ت).